

كان سليمان بن عبد الملك في بستانه، قد رمى نفسه على الرمل بلا وطاء يَبْتَرِدُ من حرّ ذلك النهار، وإلى جانبه زنبيلان قد مُلئَا بيضًا وتينًا، فهو يمدُّ يده إلى زنبيل بعد زنبيل، يأخذ من هذا ومن ذاك بيضةً وتينةً بعد بيضة وتينة، حتى أتى على الزنبيلين وما شَبِعَ، ثم ألزق بطنه بالرَّمَل، وهو يقول: ما أحبُّ إليَّ هذه المنامة وأبرَدَها في هذا اليوم القاطِظ! ثم أَتَوهُ بغدائه: جَدِيّ مشويٌّ كأنه عَكَّة سمن، ودجاجتان هنديّتان كأنهما رألا النَّعام، وعُسُّ يغيب فيه الرأس، قد امتلأ حريرة كأنها قراضة الذهب، ثم صَفَّ بين يديه ثمانون قدرًا مختلفة الألوان ...<sup>١٥</sup>

واعتلد سليمان في جلسة، وأقبل على الجدي المشوي فأتى عليه، ومال على الدجاجتين يأخذ برجل واحدة بعد واحدة، فيُلْقِي عظامها نقيّة، ثم جعل يقلع الحريرة بيده، ويشرب ويتجشأ كأنما يصيح في جُبٍّ، فلما فرغ من ذلك مال على القدور الثمانين يكشف عن أغطيّتها قدرًا بعد قدر، فيأكل من كلّ منها لقمةً أو لقمتين أو ثلاثًا ... ثم مسح يديه واستلقى ...

قال له مسلمة: أمتعك الله يا أمير المؤمنين، وأمتع بك! ...

– وَيَكْ يا مسلمة، فهل عندك من جديد؟

– نعم، فإن هذه الروم على ما ترى من الضعف، واحتلاف الأمر، وهوان المنزلة، ولم يبقَ ثَغْرٌ من ثغورهم مما يلي بلادنا إلا وطئه جُنْدُ العرب وجاسوا خلاله، ولا حصن من حصونهم إلا شَعَثْنَاهُ، حتى تطامن من شموخ، واستبّيح بعد مَنَعَةٍ؛ وإنّي أرى الأوان قد آن يا أمير المؤمنين للضربة التي تدكُّ حصونهم وأسوارهم، وتبيح أرضهم وحرّيمهم، وتُعْلِي كلمة الله في تلك الأرض الكافرة.

– وعتادك وجندك؟

– على الأُبهة يا أمير المؤمنين، عشرون ومائة ألف في البر، ومثلها في البحر.

– وسفن الغزو؟

– ثمانمائة وألف سفينة تُطَاوِدُ الموجَ ولا تنطاد فوقها السحب!

– والنار الروميّة يا مسلمة؟

– لن تنال منا مَنَالًا يا أمير المؤمنين، أو توهن لنا عزيمة.

<sup>١٥</sup> كان سليمان أكولاً بطيئاً لا يكاد يشبع.